

باحثون غربيون يؤكدون: وصايا الرسول محمد علاج ناجع

كيف يعالج القرآن حالات اليأس والإحباط؟

الإسلام دين الله الذي ارتضاه للبشرية وجعل في شريعته الخراء علاجاً لكل معضلات الحياة لضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. ومن أكثر معضلات العصر ظاهرة الغضب التي فشت في ربوع الدنيا وارتقت الانظمة والباحثين بعدما تسببت في انتشار الجرائم وارتكاب الموققات.

ومن خلال هذا البحث نتأمل النتائج الخطيرة لظاهرة الغضب التي انتشرت بشكل كبير في هذا العصر. وكيف تحدث القرآن عن علاجها وكيف يتطابق ذلك مع الدراسات النفسية الحديثة.

الغضب من الصفات التي نهي عنها النبي الرحيم صلى الله عليه وسلم، وكلنا يذكر قصة ذلك الأعرابي الذي جاء لياخذ النصيحة من الرسول فأمره ألا يغضب فقال زدني قال لا تغضب فقال زدني قال لا تغضب وما زال النبي يكرر هذا الأمر حتى انتهى الأعرابي عن السؤال؟ وسؤالاً، لماذا كل هذا الاهتمام النبوي بموضوع الغضب، وما هي آثاره الخطيرة، وما هي وسائل العلاج؟ هذا هو موضوع بحثنا.

إن هذه الكلمة يطلقها علماء الغرب اليوم بعدما اكتشفوا ما تخفيه من أسرار وفوائد ودلالات. انها «لا تغضب» والتي عربرها النبي مراراً للأعرابي حتى خيل له أن الإسلام يتلخص في هذه العبارة الرائعة «لا تغضب». فالغضب هو مفتاح لكل أبواب الشر. ومفتاح لاستكبار الذي يعاني منه المحذون وغيرهم من المشككين. ويمكنني أن أقول أن الغضب هو مفتاح جهنم والعياذ بالله.

وقد كان نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم لا يغضب أبداً لنفسه، ولا لأمر من أمور الدنيا. إلا أن تثبتك حرمة من حرمان الله تعالى. وهنا تكمن عظمة هذا النبي الذي يستهزئ به أعداؤه لأنهم حقيقة لم يجدوا أي حجة علمية يطلقونها ويعدما أصبحت حقائبهم فارغة لجأوا إلى وسيلة الشفاعة ألا وهي الاستهزاء!

ولكي تكون بحثنا علمية أود أن أعرض أولاً ما نشرته جريدة الد «ديلي ميل» البريطانية عن نداء يوجهه باحثون بريطانيون يعتقدون أنه الحل لمشاكل الغرب التي تولدت لديه نتيجة الاتحاد. فالقوم يشهد الغرب أعلى معدلات للجريمة والاعتصاب والعنف بأشكاله في الشوارع والمسنزل. انها ظاهرة اجتماعية خطيرة انقلوا الملايين من أجل إيجاد علاج لها، فانتظروا ماذا أخرجوا أخيراً؟! فقد حذر عدد من الأطباء

البريطانيين من تفشي ظاهرة استخدام السيطرة على المزاج مؤكدين انها تعد مشكلة كبيرة على الرغم من أن أحداً لا يعتبر أنها تحتاج علاجاً. وقال الأطباء أن عدم التحكم في الغضب يمكن أن يؤدي إلى مشاكل صحية خطيرة. وقالوا إن الأشخاص الذين يعانون من الغضب الشديد هم أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب والسرطان والجلطات والأحباط وحتى الإصابة بالزكام بشكل متكرر!! وكانت مؤسسة العناية بالصحة العقلية قد أطلقت مسحا يظهر خطر هذه الظاهرة داعية إلى مواجهة خطرهما لأنها تؤدي حياة الكثيرين.

وقال المدير التنفيذي في المؤسسة أندرو ماكالكوك إنه من الغريب أن يترك الناس وحيداً عندما يتعلق الأمر بشعور قوي مثل الغضب في مجتمع يستطيعون فيه أن يحصلوا على مساعدة عند المعاناة من الإحباط والقلق والألم والخوف واضطرابات الأكل وغيرها من المشاكل النفسية. إن هذا الغضب إذا استمر سوف يهدم حياة الفرد.

وأقر الباحثون بأن معالجة مشكلة الغضب ليست بالأمر السهل لكن مثاقعها كبيرة جداً!! وأكدت هذه الدراسة أن



كبت الغضب

يؤدي إلى إفراز

هرمونات تضعف

المناعة بتدمير

خلاياها الرئيسية

لابد من التعبير

عن عواطف النفس

ولكن بطريقة

إيجابية لا تسيء

لآخرين

الإسلام عالج

ظاهرة الغضب

بحكمة وجنب

المجتمع المسلم

ويلات الغاضبين

عودة الغرب إلى

تعاليم الإسلام دليل

جديد على عظمة ما

جاء به النبي من عند

الله

اعطاك الله... فغضب أصحاب النبي غضباً شديداً وهتوا بقتل الأعرابي، ولكن النبي الرحيم قال لهم: خلوا بيني وبينه. لقد عرف المرض وعرف العلاج. الأعرابي يغضب والصحابه يغضبون ولكن النبي بكل هدوء يعالج الموقف ويعطينا درساً في علاج الغضب. ويأمر النبي ذلك الأعرابي أن يأخذ ما يشاء من بيت المال، وعند هذه اللحظة يدرك الأعرابي كرم محمد وأنه ليس رجلاً عادياً بل هو نبي مرسل، وهنا يعتز للنبي ويعلم إسلامه.

وهنا تاملوا معي كيف يستغل النبي هذا الموقف ليعلم أصحابه. - انظروا إلى البرجة الإيجابية في أسلوب خير البشر، يقول لهم لو ارتكبت تقتلونهم مات كراماً... ولكن هذا الأعرابي ذهب فجاء ببقيلته كلها فأعلنت إسلامها!!! بالله عليكم هل هذا نبي العنف أم نبي الرحمة؟

الغضب يضعف جهاز المناعة

ومواصلاتها وخصالها قد يكون لها جميعاً تلؤذ على قدرة جهاز المناعة في الجسم على مواجهة المرض والتخلص منه.



الغضب أصبح مشكلة كبرى تشمل ربع المجتمع وتسبب الكثير من الإحباط. ولذلك أطلقوا نداء موحداً يؤكدون من خلاله على ضرورة ألا يغضب الإنسان كوسيلة لعلاج معظم مشاكل المجتمع وبخاصة الشباب.

ونقول يا أحييتي: إن علماء الغرب يرددون كلام النبي الأعظم بعدما ثبت لهم أن الحل يكمن في هذه العبارة «لا تغضب». وأقول: بالله عليكم هل صاحب هذا الفداء الرائع (لا تغضب) هو رجل انفعالي أم رجل رحيم بأمره يريد الخير لهم؟

انظروا معي كيف يعود الغرب شيئاً فشيئاً إلى تعاليم الإسلام، ماذا يعني ذلك؟ أنه يعني شيئاً واحداً ألا وهو أن الإنسان عندما يبحث ويفكر ويكتشف الحقائق العلمية ويخوض التجارب لابد أن يصل إلى نفس الحقائق التي جاء بها هذا النبي الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه!! وسؤالي: هل ازداد حكم نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بعدما اطلعتم على هذا البحث؟

الحقائق التي جاء بها رسولنا تمثل الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذا أكبر دليل مادي على أن محمد صلى الله عليه وسلم صادق أكبر دليل مادي على أن محمد صلى الله عليه وسلم صادق في دعونه إلى الله. وصديق الله عندما وصفه بصفة لم يصف بها غيره من المخلوقات، يقول تعالى: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» (التوبة: 128-129).

الغضب الإيجابي!

جاء في دراسة أجراها بنك المعلومات «كاهوت» على شبكة الإنترنت أن فقدان الأعصاب يكلف الاقتصاد البريطاني 16 مليار جنيه استرليني في العام. وتقول الدراسة أن من يفقدون أعصابهم يحطمون أكثر ما يحطمون الأدوات الفخارية

بنسبة تبلغ ثلاث مرات. ويبحث الدراسة أن الشباب الغاضبين أكثر عرضة للإصابة المبكرة بالسكتة القلبية من أقرانهم الهادئين بنسبة تصل إلى خمس مرات، حتى لو كانوا يتخدرون من عائلات يخلو تاريخها من أمراض القلب.

وتؤكد د. «باتريشيا تشانغ» التي قامت بالإشراف على جزء من البحث الذي تم إعداده في الولايات المتحدة أن عدداً من الشباب عثر عن غضبه، بينما تمكن عدد آخر من إخمائه، ولكن عدداً كبيراً من المشاركين كانوا سريعي الغضب وتتأهبهم نوبات متكررة من التدمر. إن الدراسة بينت أن المزاج السيئ يتنبأ بالأمراض قبل ظهور أعراضها مثل مرض السكري وضغط الدم.

وأكدت أن «أفضل شيء» يستطيع الرجال والشباب الغاضبون عمله هو مراجعة أخصائيين لتعلم طرق السيطرة على الغضب، وبخاصة أن دراسات سابقة بينت أن الأشخاص المصابين بمرض القلب يسجلون تحسناً في صحتهم حين يتعلمون كيف يسيطرون على غضبهم. واستخدمت د. تشانغ وزملاؤها في دراستها معلومات حول نحو 1300 طالب كانوا يدرسون في معاهد جون هوبكنز الطبية بين عامي 1948 و 1964.

وقالت د. تشانغ إنه بالرغم من أنه لا يعرف بعد كيف يسبب الغضب أمراض القلب، فإن الأدلة تشير إلى أن الأرهاق يطلق كميات مفرطة من هرمونات تعرف باسم كاتجولامينيس، منها الأدرنالين، الذي يتكون بشكل طبيعي في الجسم وينقل عادة الإشارات، وتؤدي هذه الهرمونات الجسم في حالات الطوارئ مثل الإصابة بالزكام، أو الأرهاق العصبي أو الصدمة وذلك بتقليص جدران الأوعية الدموية والضغط على القلب للعمل أكثر لضخ كميات إضافية من الدم.

الغضب والمغفرة

انظروا معي كيف عالج القرآن ظاهرة الغضب، الفتاة، يقول تعالى عن صفات المؤمنين الذين استجابوا لربهم: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون» (الشورى: 37). فالغفرة هي أفضل علاج للغضب، وأقول عزيزي القارئ هل فكرت يوماً أن تعالج الغضب بالسبيل الذي نغفر أولئك لهم عقلي الذار؟ خذنا عن نخلوننا ومن صلب من أتائهم وأزواجهم وزنايتهم والملائكة يدخولون عليهم من كل باب «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقلي الذار» (الرعد: 22-24).

وانظروا معي إلى هذا العلاج الرائع: «ويؤمر بالصلوة السنية» أين هم علماء الرحمة النقية العصبية الذين يدعون أنهم وضعوا أساساً علمياً لأمراض الغضب، ليس ما جاء به القرآن قبل أربعة عشر قرناً هو ما يتادي به علماء النفس اليوم، وذلك عندما يقولون أن أفضل طريقة لعلاج الانفجارات والغضب أن تفكر بالجانب الإيجابي وتتسامح؟

آيات كثيرة تؤكد هذه القاعدة، يقول تعالى: «ولا تسبوا الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» (فصلت: 34). انظروا كيف يريد الله منا أن نحول المشاعر السلبية إلى مشاعر إيجابية. وكيف تتحول العداوة إلى صداقة! هذه هي قواعد علم النفس الحديث، ولكنهم يسمونها باسماء حديثة مثل: كيف تكسب الأصدقاء، أو كيف تكسب لفة الآخرين، أو كيف تتحكم بالذات... وغير ذلك، وجميع ذلك جاء في كتاب الله تعالى.



ما سبب لكل منهم ما بين 3 إلى 4 انفعالات عصبية مشابهة خلال عام واحد، ولهذا المرض تعريف دقيق في مراجع الطب النفسي، ولكن يجهل العلماء حتى الآن مدى انتشاره بين بني الإنسان. ويمكن للطبيب أن يقرر إذا ما كنت مصاباً بهذا المرض إذا تكررت قيامك بانفعالات غاضبية وعنفية لأسباب لا تبدو ذات أهمية تستحق، ولعدة مرات. وعادة ما يفقد المصاب بهذا المرض تماكلاً لأعصابه فجأة ويقوم بتدمير شيء ما، أو يعتدي أو يهدد بالاعتداء على أي شخص.

وأجرى باحثون من كليات الطب في جامعتي هارفارد وشيكاغو الأمريكيين مسحا مباشراً على عينة مكونة من 9282 شخصاً راشداً خلال عامي 2001 و2003، وتوصلوا إلى أن 7.3 في المئة من عينة البحث مصابون بمرض «أي إي دي»، وقرروا عدد المصابين بنمائية ملايين شخص في الولايات المتحدة لوحدها، وهو رقم أعلى بكثير من التقديرات السابقة، وتبدأ أعراض الإصابة بالمرض منذ سن 14 عاماً.

ويقول «درونالد كيسلر» وهو قائد لمجموعة التي أجرت البحث: إن «أي إي دي» ليس معروفاً بين العامة كمرض، ولكن حجم الأرقام التي أشارت إلى المرض يجعل من الضروري أن يقدر المرضى انتشار المرض وأن يسعوا لتطوير استراتيجيات لعلاج.

ويوضح زميله د. «إميل كوكارو» أن العامة ينظرون للانفعالات الصادة للبيئة بهذا المرض على أنها مجرد سوء سلوك، وبالتالي فهم لا يعيرونها اهتماماً كمرض له أسباب جينية وفسيولوجية ويمكن علاجه، ويرى العلماء أن انتشار المرض يجعل من الضروري تطبيق سياسات وقائية ونوفير العلاج المبكر مما قد يفيد في مساعدة الأشخاص على تجنب مشاكل لها ارتباط بالمرض مثل الإدمان على الكحول أو المخدرات أو الإصابة بالاكنتاب.

الغضب يسرع الإصابة بالسكتة القلبية

قال علماء أميركيون أن المزاج السيئ لدى الشباب الذكور قد يؤدي إلى الإصابة بمرض القلب في وقت مبكر من الحياة. جاء ذلك في نتائج دراسة توصلت إلى أن الشباب الذكور الذين يتأهبهم الغضب عند التعرض للتعطب والأرهاق العصبي أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب من غيرهم

الدراسة إلى أن المراهقين الذين يعانون من مشاكل في التحكم في غضبهم يكونون أكثر عرضة لزيادة الوزن. وقال العلماء في الاجتماع السنوي لجمعية القلب الأميركية في سان فرانسيسكو أن المراهقين الذين يكتفون شعورهم بالغضب يتعرضون لخطر السمنة أو زيادة الوزن وهو ما قد يؤدي إلى تعرضهم لأعراض مثل مرض القلب أو السكري. وقام أطباء من مركز علوم القلب في جامعة تكساس بدراسة 160 مراهقاً تتراوح أعمارهم ما بين 14 و 17 عاماً على مدى ثلاث سنوات، واستخدم الأطباء اختبارات نفسية لمعرفة كيفية استجابتهم للغضب. ووجد الأطباء أن المراهقين الذين يمكنهم التحكم في غضبهم والتصرف بشكل مناسب عند الغضب يكونون أقل عرضة لزيادة الوزن. أما ما يعانون من مشاكل في التعامل مع الغضب سواء بكبت مشاعرهم أو فقدان أعصابهم فهم الأكثر عرضة لزيادة الوزن.

يقول البروفيسور «ويليام مولر» الذي قاد فريق البحث في الدراسة: ترتبط السمنة بالطرق غير الصحية في التعبير عن الغضب، فمشكلات التعبير عن الغضب يمكن أن تؤدي إلى اضطرابات في الأكل وزيادة الوزن وهو ما قد يؤدي بدوره إلى الإصابة بمرض القلب في سن مبكرة. إن الأمر لا يقتصر فقط على مجرد من الضغوط العصبية، وهو ما يؤدي النتائج الجديدة. كما ذكرت دراسة أوهايو أنه لم يلاحظ نفس التأثيرات مباشرة على حجم الهرمونات في الجسم، ومنها الكورتيزول الذي له تأثير فعال على أداء جهاز المناعة.

ويؤكد د. «مايك فيشر» من الجمعية البريطانية للتحكم في الغضب أن العديد من المراهقين لديهم مشكلات تتعلق بالتحكم في الغضب، إن نحو 50 في المئة من المراهقين الذين تستقبلها هي آباء يعمرون عن مخاوفهم بشأن أطفالهم.

للغضب أنواع خفية يُصاب بها الملايين!

تقول دراسة نشرت حديثاً في الولايات المتحدة أن مرضاً يسمى عرض الانفجارات المتقطع (أي أي دي) قد يكون السبب وراء قيام بعض الأشخاص بانفجار انفجارات فجائية عنيفة وغير مبررة. وتضيف الدراسة أن ما يقارب 10 ملايين أمريكي يعانون من هذا المرض الذي طالما استبعد عند محاولة تشخيص مثل تلك الانفجارات. وتقول الدراسة أن 4 في المئة من سكان أميركا يعانون درجة حادة من «أي أي دي»

وتقول د. «آنا مارشالاند» من جامعة بينسبره الأميركية أن ذوي الميولات العالية من الغضب العصبي (تيوروتيسيزم) قد لا يتمكنون بجهاز مناعة قوي بما فيه الكفاية.

لقد قام باحثون في كلية الطب بجامعة بينسبره تحت إشراف د. مارشالاند، بفحص ردود فعل أكثر من ثمانين متطوعاً حققوا نجاحاً في معالجة مرض التهاب الكبد الوبائي، وهو مرض فيروسي، واللقاح ينشط جهاز المناعة في الجسم من خلال تعرضه لكمية صغيرة جداً من الفيروس، كما أدخل للمتطوعون في اختبار لقياس طبيعة شخصياتهم ودرجة شئبها العصبي.

وتبين للعلماء أن من لديهم درجات عالية من الغضب العصبي يميلون إلى التقلبات المزاجية الشديدة، وإلى التعصب الكثير، كما تسهل استئثارهم وتعرضهم للضغط والاضطراب النفسي والإجهاد العصبي، وظهر أن المتطوعين من ذوي الغضب العصبي العالي يميلون أيضاً إلى تسجيل استجابات أقل من حيث جودة الأداء للقاح مرض التهاب الكبد الوبائي مقارنة بمتطوعاتهم الذين لهم معدلات طبيعية من الغضب العصبي، وربما تفسر هذه النتائج ما خلصت إليه دراسات سابقة من أن ذوي الغضب العصبي العالي أكثر عرضة من غيرهم لمشاكل الأمراض وتعبيراتها.

وتقول د. مارشالاند أن نتائج الدراسة تدعم الفكرة القائلة بأن ذوي الغضب العصبي العالي يستمعون بجهاز مناعة أقل كفاءة من غيرهم، مما يعرضهم أكثر من غيرهم للأمراض وأعراضها. وكانت دراسة سابقة أجريت في أوهايو بالولايات المتحدة، قد وجدت أن قوة تأثير اللقاحات والعقاقير الطبية المضادة لذات الرئة تقل عند من يعانون من الضغوط العصبية، وهو ما يؤدي النتائج الجديدة. كما ذكرت دراسة أوهايو أنه لم يلاحظ نفس التأثيرات مباشرة على حجم الهرمونات في الجسم، ومنها الكورتيزول الذي له تأثير فعال على أداء جهاز المناعة.

عدم التحكم بالغضب يؤدي إلى الوزن الزائد ومشكلات صحية

أفادت دراسة جديدة بأن عدم قدرة المراهق على التحكم في الغضب قد يسبب له مشكلات صحية في المستقبل. وخلصت